الصعوبات البشرية التي واجهت الرحالة العرب والأوروبيين عند عبورهم الأراضي الليبية في الفترة ما بين 1798- 1923م.

د .ميلاد امحمد الزليتني[1]

مقدمة

لا شك في أن هناك عدة صعوبات واجهت الرحالة العرب والأجانب- على السواء- عند قيامهم بالتجوال، أو عبور الأراضي الليبية، من الشمال إلى الجنوب، أو من الغرب إلى الشرق، وبالعكس، وقد كانت لهذه الصعوبات نتائج أثرت على نجاح أو فشل رحلاتهم من كافة الجوانب.

وقد تعرض هؤلاء الرحالة العرب والأجانب لهذه الصعوبات من خلال كتاباتهم، التي سوف نعتمد عليها بشكل واسع في هذا البحث المتواضع، مع بعض المراجع التي تعطي توضيحاً وافياً لهذه الصعوبات، وتعريفاً ببعض المواقع والأماكن.

هذه الصعوبات، كانت تتحكم فيها الحالة السياسية، التي تنوعت من صراع، أو تعاون بين الدول الأوروبية الاستعمارية، التي ينتمي إليها بعض أولئك الرحالة، بالإضافة إلى الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والأمنية، والاجتماعية، والطبيعية، والداخلية، في ليبيا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، والغاية والغرض من دراسة هذه الفترة، هو أهمية هذه الفترة من تاريخ ليبيا الحديث، وكذلك فإن هذه الفترة شهدت وصول عدد- لا بأس به- من الرحالة إلى الأراضي الليبية، سواء العرب أم الأجانب، وإجمالاً فقد تعددت الصعوبات وتنوعت ويمكن أن نشير إليها وفق الآتي:

---

(1) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب/جامعة مصراتة، قسم التاريخ

أولاً) التنافس بين الدول الأوروبية في ليبيا:

من الصعوبات التي واجهت الرحالة الأجانب: التسابق والصراع الخفي والعلني بين الدول الاستعمارية، حول كسب السباق في الوصول إلى المناطق الليبية، أو العبور إلى أواسط أفريقيا المجهولة لدى هذه الدول؛ لتحقيق مصالحها السياسية، والاقتصادية، ولكن هذا لا يعني أن هذه الدول لم يكن بينها– في الكثير من الأحيان– تعاون ومساعدة لهؤلاء الرحالة، وقد كان لهذا الصراع أوجه ومستويات مختلفة في القرن التاسع عشر الميلادي، بالإضافة إلى الصراع الدولي بين الدول الأوروبية على الأراضي الليبية، كان هناك صراع بين العديد من القوى الليبية القبلية في الأقاليم الليبية، وموقف السلطات الحاكمة في هذه الفترة من هذا الصراع.

ففي المستوى المحلي كانت هناك صراعات قبلية بين القبائل الليبية، خاصة في إقليم برقة، بين قبائل المجابرة[1] والزويه[2]، وموقف الأتراك والحركة السنوسية[3] منه، كذلك الصراع على المصالح التجارية بين تجار الكفرة وفزان، وتجار بنغازي وطرابلس، الذي كان محوره السيطرة على تجارة القوافل، وفيما بعد كان الصراع بين الدول الأوروبية، خاصة بين إنجلترا وفرنسا، ثم دخول إيطاليا، وموقف الأتراك والحركة السنوسية من ذلك[4].

إن هذا الصراع– بمختلف أطرافه– كان له أثر مباشر، وغير مباشر، على خطط وأهداف هؤلاء الرحالة من مختلف الجنسيات، على الرغم من وجود تعاون وتنسيق بين هذه الأطراف المتصارعة، فإنه كان في صالح الرحالة حسب ميولهم وأهدافهم العلنية والسرية، ولكن في غير صالح الليبيين بصفة عامة.

---

(1) المجابرة: قبيلة ليبية تنتمي للجبارنة السعادي تنتشر في واحات جالو باللبة والعرق، وبعض أفخادها في بنغازي والكفرة وسيوه يعود أصل المجابرة إلى حمل بن جبريل بن برغوث بن ذياب وسعدة، محمد عبد الرزاق مناع، الأنساب العربية في ليبيا، مكتبة التمور، بنغازي، 2007، ص154.

(2) قبيلة زويه: قبيلة تقيم في واحات الكفرة وتازربو وربيانة والهواري وجخرة وكأنم والوادي الفارغ إجدابيا، ويرجع بعض النسابين أن أصل زويه يعود إلى الحساونة من سلالة حسن الليبيب، وقد أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى منطقة زويه في فزان التي أقاموا بها فترة من الزمن وانتقلوا منها نتيجة الصراع مع الدولة العثمانية سنة 1307 هـ ولا يزال أبناؤها تجار قوافل مع تشاد ومصر وفزان في هذه الفترة من تاريخ ليبيا الحديث المرجع نفسه، ص38.

(3) السنوسية: تنسب إلى السنوسي جد مؤسسها محمد علي بن السنوسي الذي ولد في بلدة مستغانم بشرق الجزائر سنة 1798م، وهو ينحدر من الأشراف الأدارسة، درس في مدينة فاس أسس عدة زوايا في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ثم أقام في مدينة البيضاء سنة 1843 ثم استقر في واحة الجغبوب. محمد سعيد القشاط، جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى (1891 – 1986 م)، ط2، بيروت، دار الملتقى للطباعة والنشر، 1998م، ص22.

(4) محمد مصطفى بازامه، تاريخ برقة في العهد العثماني الثاني، ابيروت: دار الحوار الثقافي العربي الأوروبي، 1994م، ص506.

أشار الباحث أحمد محمود وهيبة إلى أن مجيء هؤلاء الرحالة، والصعوبات التي تعرضوا لها، يرجع إلى أن فترة هذه الرحلات كان زمن الصراعات والحروب والسباق للاستحواذ على ثروات المستعمرات نتيجة للثور الصناعية في أوروبا[1].

عند تناول هذا التسابق والصراع بين هذه الدول، نلاحظ أنه مر بعدة مراحل من حيث الشد والجذب بينها، حسب الظروف الدولية، وكذلك حسب قوة وضعف السلطة الحاكمة في ليبيا خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

فقد نشأ صراع بين إنجلترا وفرنسا حول النفوذ لدى السلطات القرمانلية في أواخر أيامها، والذي كان في شكل تنافس قاده القنصل الفرنسي روسو[2]، والقنصل الإنجليزي هانمر وإرنجتون[3] في طرابلس، والذي اتهم فيه الأخير الفرنسيين بالعمل على عرقلة[4] رحلة الإنجليزي جوردون لاينج Gordon

(1) أحمد محمود هيبة، الظروف المتزامنة مع قدوم الرحالة جيمس ريتشارد سون إلى غدامس، ضمن أعمال الندوة العلمية التاريخية حول تاريخ غدامس، تقديم وتحرير نور الدين مصطفى الثني، طرابلس منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005 ، ص252.

(2) روسو: هو القنصل الفرنسي بطرابلس، تولى عمله سنة 1825 م وكان روسو عالماً ومستشرقاً وسياسياً بارعاً، استطاع إقامة علاقات قوية مع رجال السلطة الفرمانليين في طرابلس، بما فيهم الباشا يوسف باشا القرمانلي " 1792 – 1832 م " . رحلتان عبر ليبيا، رحلة فردريك هورنمان من القاهرة إلى مرزق 1797 – 1798 م، رحلة ورسائل الرائد ألكسندر جوردون لينج 1874 – 1826م. طرابلس، دار مكتبة الفرجاني، "1974 "، ص206.

(3) القنصل هانمر وارنجتون " 1778 – 1848 م ": هو العقيد وارنجتون الذي ولد في سنة 1778 التحق بالجيش الإنجليزي وهو في سن السادسة عشر برتبة ملازم في سلاح الفرسان، ثم تدرج من رتبة نقيب إلى رائد ثم أصبح قائداً لقوات الفرسان المتطوعين رقي بعدها إلى رتبة مقدم، خاض معارك مع سلاح الفرسان، اشتهر بالعقيد وارنجتون، ترك الخدمة العسكرية سنة 1812 م ثم أصبح قنصلاً عاماً في طرابلس 1814 م، كان له أربعة أولاد وثلاث بنات الثانية منهن هي ماريا التي تزوجت الرحالة جوردون لاينج قبل سفره إلى تميكتو وتوفي وارنجتون في بلدة بتراس باليونان في يوم 17 أغسطس 1848 م عندما كان في ضيافة زوج ابنته السيد توماس ود، رحلتان عبر ليبيا، المصدر السابق،ص ص208-209. كذلك قام هذا القنصل بزيارة لإقليم برقة لغرض الإطلاع على المعالم الأثرية في سنة 1826 م. ماريو غرسو التسلسل الزمني لأحداث المستعمرات الإيطالية، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1989، ص167.

(4) وحول هذه القضية والمشكلة والصراع بين الطرفين الإنجليزي والفرنسي فقد اتهم الرحالة جيمس ريتشارد سون الذي قام برحلته سنة 1845 م الرحالة الفرنسي كاليه بأنه سرق مذكرات الرحالة لاينج سنة 1826 م بقوله: " والغريب في الأمر ما يؤكده البعض من أن الرحالة كاليه عثر على مذكرات النقيب لاينج وقام بنسبتها إلى نفسه كانطباع شخصي عن مدينة تمبكتو " جيمس ريتشارد حيمس ريتشاردسون، ترحال في الصحراء، ترجمة الهادي مصطفى أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1993، ص 191.

Laing[1]، إلى أواسط أفريقيا عبر الأراضي الليبية، مما اعتبره الإنجليز إضراراً بالمصالح الإنجليزية في طرابلس وأواسط أفريقيا، وفي هذا الصدد ذكر فريدريك هورنمان Fredrick Horneman[2] في مذكراته: أنه قد "حاولت فرنسا لدى باشا[3] طرابلس بالرشوة[4]، مقابل أن يؤخر البعثة الإنجليزية بقيادة الرحالة لاينج عن السفر في قافلة تمبكتو السنوية"[5].

أما فيما يخص الصراع بين فرنسا وألمانيا، فقد نظرت فرنسا بعين الشك والريبة للرحلات الألمانية عبر الأراضي الليبية، خاصة في المناطق المجاورة للمستعمرات الفرنسية في شمال وأواسط أفريقيا، وقد عبر عن ذلك القنصل الفرنسي في طرابلس شارل فيرو بقوله: "ومنذ قيام الرحالة الألمان برحلاتهم العلمية عبر بلد مجاور للجزائر، أدركت فرنسا حينئذ أن الباعث الحقيقي لذلك الغرض من الرحلات...."[6]. وهذا ما يوضح أن الفرنسيين كانوا يرقبون تحركات الرحالة الألمان عبر الصحراء الليبية، خاصة في مناطق ليبيا، مثل: غدامس[7] القريبة من المستعمرات الفرنسية في الجزائر وتونس.

---

(1) الرحالة جوردون لاينج " 1794 – 1826 م " هو الرحالة الأسكتلندي ألكسندر جوردون وليام لاينج ولد في 1794/12/27 م في مدينة أدنبره قتل على يد الطوارق في سنة 1826 م، فقد جميع مذكراته ولم تبق إلا رسائله التي أرسلها إلى القنصل وارنجتون، رحلتان عبر ليبيا، المصدر السابق، ص ص179-180-181.

(2) فريدريك هورنمان " 1772 – 1801 م ": هو الرحالة الألماني فريدريك كونراد هورنمان الذي ولد في مدينة هالدشايم في سنة 1772 م وتوفي في سنة 1801 درس في جامعة جوتتجن بألمانيا للعلوم الطبيعية والفلكية، اتقن اللغة العربية اثناء تواجده في القاهرة 1797 – 1798 م، كذلك درس مظاهر الحضارة العربية الإسلامية وتاريخ فزان قام برحلة من القاهرة إلى مرزق وهو متنكراً في زي تاجر تركي، كتب رحلته رحلتان عبر ليبيا، المصدر السابق، ص16، كذلك جيمس ويلارد، المرجع السابق، ص199.

(3) يوسف باشا القرمانلي: هو الباشا يوسف باشا بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف القرمانلي، الذي حكم ولاية طرابلس الغرب في الفترة الواقعة بين " 1795 – 1832 م "، وقد وصفه الأسباني دومينجو باديابيا ليبلك الذي كان في طرابلس في سنة "1805– 1806 م" بقوله: "سيدي يوسف رجل حسن المظهر يبلغ من العمر حوالي 40 عاماً لا يخلوا من الذكاء وحضور البديهة يتحدث الإيطالية بدرجة جيدة، يحب الأبهة والفخفخة ويحتفظ بالوقار و الحشمة دون أن يهمل المجاملة والكياسة. رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، معهد الدراسات العربية العاليا، القاهرة، 1961م، ص132.

(4) كان الباشا يوسف القرمانلي يعاني من ضائقة مالية صعبة نتيجة للديون التي وقع تحت ضغطها من الدول الأوروبية خاصة إنجلترا مما جعله لم يعد حراً في اتخاذ سياسة مستقلة عن النفوذ الإنجليزي، كما كان في بداية عهده حيث الرخاء الاقتصادي.

(5) رحلتان عبر ليبيا، المصدر السابق، ص ص 247 – 256.

(6) شارل فيرو ، الحوليات الليبية، تحقيق محمد عبد الكريم الوافي، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان،1983، ط2، ص 712.

(7) غدامس: تقع على الحدود الليبية التونسية وصفها الوازان في كتابه وصف أفريقيا بقوله: " أن غدامس منطقة كبيرة مسكونة،

وفي هذا الصدد وقع الرحالة الألماني فريدريك هورنمان في سنة 1797 م في الأسر، من قبل الجيش الفرنسي، بقيادة نابليون بونابرت في مصر، أثناء الحملة الفرنسية[1]، والذي أطلق سراحه فيما بعد[2]. ولكن س. هوارد في كتابه أشهر الرحلات ينفي وقوعه في أسر نابليون بونابرت[3].

وهذا يوضح أن معظم نشاط الرحالة الأجانب- بمختلف جنسياتهم- في حركة الكشوف الجغرافية في شمال وأواسط أفريقيا، كانت بوابته مصر؛ لعدة عوامل، على رأسها الموقع الجغرافي المجاور للأراضي الليبية.

ومن جهة أخرى، فقد خلقت رحلة الرحالة الألماني جيرالد رولفس Gergard Rohifs[4] إلى الكفرة 1878 م توجس السلطات الفرنسية، فقد أعربت بعض الصحف الفرنسية بأن هذه الرحلة لا تخرج عن كونها محاولة من الجانب الألماني للبدء في إرسال حملة عسكرية، هدفها احتلال الأراضي الليبية، وطلبت الحكومة الفرنسية بمراقبة هذه الرحلة من قبل قنصلها في مدينة طرابلس[5].

وحول الشكوك الفرنسية ومعارضتها للرحلات الألمانية في الأراضي الليبية، ما أشار إليه القنصل الفرنسي شارل فيرو بقوله: "إن قدوم رولفس إلى طرابلس في أواخر 1868 م، قد اقترن بمسلك اتسم بالتودد للعرب، وبدعاية مضادة للاستعمار الفرنسي في الجزائر"[6]، وفي نفس هذه الفترة، أشار الرحالة

حيث القصور العديدة والقرى المأهولة ... على بعد نحو ثلاثمائة ميل من البحر الأبيض المتوسط سكانها أغنياء لهم نخل وأموال ". عبد السلام محمد شلوف، المرجع السابق، ص459.

(1) للمزيد حول مقاومة الشعب العربي المصري البطولية، للحملة الفرنسية انظر عصام محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، بيروت، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، 1982.

(2) جيمس ويللارد، الصحراء الكبرى، طرابلس، مكتبة الفرجاني، (ب.ت) ، ص199.

(3) س . هوارد، أشهر الرحلات إلى غرب أفريقيا، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية للكتاب، 1969، ص198.

(4) جيرالد رولفس "1831– 1897م ": هو الرحالة الألماني جيرالد رولفس ولد في أسرة متعلمة في مدينة فيغراك في 14 إبريل 1831، كان ملماً بالجغرافية واللغات، درس الطب، عمل رولفس في الفرقة الأجنبية في الجزائر 1855م قام برحلة عبر الجزائر 1856 – 1857 م، فقد كان عسكرياً وطبيباً ورحالة ودبلوماسياً، أهم رحلاته في مراكش 1864-1865 م، وسجلها في كتابه "صعود الأطلس الكبير واحات كافيلت" ثم رحلته الثانية من طرابلس إلى خليج 1867 وكان كتابه عن الرحلة " رحلة عبر أفريقيا "، ثم رحلته إلى الحبشة 1867 ثم كان رحلته من طرابلس إ لى الإسكندرية 1868 – 1869 م. أتيليو موري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا، تعريب: خليفة محمد التليسي، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1984 م، ط2، ص ص15-19.

(5) جيرالد رولفس، رحلة إلى الكفرة، دراسة ومراجعة عماد الدين غانم، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2000، ص43.

(6) شارل فيرو، المصدر السابق، ص754.

الألماني جيرالد رولفس في رحلته من طرابلس إلى الإسكندرية سنة 1868 م، إلى أن الرحالة البارون فون مالتسان Von Maltzan، هاجم السياسة الفرنسية، واحتلال فرنسا للجزائر، عندما أشار إلى عدم قدرة فرنسا على الاستمرار في احتلالها للجزائر، والبقاء فيها(1). وهذا ما أثبتته الأيام حيث؛ استطاع الشعب الجزائري والتونسي والمغربي التخلص من الاستعمار الفرنسي، ومن قبلهم الشعب المصري، الذي هزم وطرد الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت، والحملة الإنجليزية بعدها.

وقد استمر هذا الصراع بين الدول الأوروبية حول نشاط الرحالة إلى بداية القرن العشرين، حيث ظهرت الخلافات بين الأطماع الألمانية والإيطالية على الأراضي الليبية. فقد شكّل هذا الصراع خطراً على الرحالة الألمان عند قيام القوات الإيطالية باحتلال المدن الليبية الرئيسية سنة 1911م، فقد تعرض الرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزه Gattlob Krause(2) إلى خطر الموت عدة مرات في مدينة طرابلس(3)، وفي هذا الصدد؛ فإن كراوزه تعرض أثناء نيته الاستقرار في طرابلس إلى التهديد بالقتل، ونهب بيته، وسرقة أوراقه ومذكراته، من قبل الجنود الإيطاليين أثناء الحرب الليبية الإيطالية(4). ومن المرجح أن تصرفات الإيطاليين ضد هذا الرحالة الألماني كانت بسبب الخوف من نقل الحقيقة إلى الصحف والأوساط الألمانية والأوروبية، حول وضع القوات الإيطالية وجرائمها ضد الليبيين، وكل ذلك في إطار الصراع الإيطالي الألماني، خاصة وأن الألمان كانت لهم علاقات طيبة مع الدولة العثمانية.

---

(1) جيرالد رولفس، رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية، ترجمة عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2002 م، ص11.

(2) غوتلوب أدولف كراوزه " 1850– 1938 م ": ولد في ألمانيا 1850م، توفي في مدينة زيورخ سنة 1938م، قام بدراسة العلوم الطبيعية ثم درس وأتقن بعض اللغات الأفريقية على ر أسها اللغة العربية والهوسا، كتب عدة مؤلفات حول اللغات واللهجات الأفريقية والحروب الإيطالية في ليبيا، قام بثلاث رحلات إلى ليبيا في الفترة ما بين 1878 – 1912م. الدواخل الليبية في مجموعة دراسات الرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزه، ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998 م، ص20. كذلك عماد الدين غانم، وثائق ومخطوطات في أعمال رولفس وكراوزه، ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا واقعها وآفاق العمل حولها، الجزء الثاني، زليتن، 1988، ص29.

(3) عماد الدين غانم، تقارير غوتلوب أدولف كراوزه الصحفية حول الغزو الإيطالي لليبيا، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1993، ص104.

(4) عماد الدين غانم، مؤلفات الرحالين الأجانب ومكانتها بين مصادر تاريخ ليبيا في القرن التاسع عشر، طرابلس في عام 1869. نموذجاً: مجلة البحوث التاريخية السنة التاسع والعشرون، العدد الأول، يناير، 2007 م، ص23.

وبذلك فقد أثرت هذه الصراعات والخلافات على قناصل الدول الأوروبية، خاصة في مدينة طرابلس، مركز الحكم والقرار، فقد أصبحوا غير قادرين على تقديم المساعدة لرحالة بلادهم نتيجة هذه الصراعات. ومن ذلك ما أشار إليه الرحالة الإنجليزي جيمس ريتشارد سون James Richardson- إلى أن القنصل الإنجليزي في طرابلس وإرنجتون، لم يستطيعا تقديم المساعدة اللازمة له في رحلته سنة 1845م- بقوله: "لدى فإنني مدين للعقيد وإرنجتون، لا في تسهيل مهمتي للتقدم في الدواخل، بل في مضاعفة مشاكلي مائة ضعف"[1].

ونتيجة للصراع بين فرنسا وإنجلترا، ومقتل الرحالة الإنجليزي لاينج سنة 1826م، فإن الحكومة الإنجليزية أصبح لديها قناعة بأن إرسال الرحالة بغرض تطوير التجارة عبر الصحراء نحو أواسط أفريقيا ليس ذي جدوى[2]؛ نتيجة للمخاطر والصعوبات في الأراضي الليبية، والدسائس والمؤامرات من كافة الأطراف على هؤلاء الرحالة.

والجدير بالذكر، هو أن الصراع بين الدول الأوروبية في شمال أفريقيا أدى إلى صعوبة وصول الرحالة الأجانب عن طريق مصر إلى الأراضي الليبية.

لقد تعرضت جهود مصر في الكشوف الجغرافية- في فترة حكم توفيق باشا "1879- 1892م"، ومن بعده في عصر ابنه عباس الثاني- للتوقف، حتى قبل القرن التاسع عشر، لعدة أسباب، منها: قيام الثورة العرابية، وما تبعها من احتلال إنجليزي لمصر، واندلاع الثورة المهدية في السودان، الذي كلف مصر نفقات مادية وبشرية في عمليات استرداد السودان في عهد عباس الثاني[3].

أما بالنسبة لتأثير الصراع بين القبائل[4] في العديد من المناطق، فقد كان له تأثير واضح على تحركات الرحالة، وكذلك صراع هذه القبائل مع السلطات العثمانية. وقد أشار إلى ذلك الرحالة جيمس

---

(1) رحلتان عبر ليبيا، المصدر السابق، ص228.

(2) ن . أ . بروشين، تاريخ ليبيا الحديث من منتصف القرن السادس عشر، حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1991 م، ص314.

(3) السيد يوسف نصر، جهود مصر الكشفية في أفريقيا في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير في الآداب تاريخ حديث، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1974 م، ص156.

(4) ومن الأحداث الدموية التي سببها النزاع بين القبائل: مقتل الرحالة الفرنسي ماركوي دي موري في المكان المعروف باسم مشيجيج (Mshigig) شمالي غربي واحة غدامس وجنوبي غربي واحة سيناون وبالقرب من بئر الوطية (Elwatia) وذلك في سنة 1896م، مصطفى عبد الله بعيو، المختار في مراجع ليبيا، الجزء الثاني، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1967، ص264.

ريتشاردسون[1] أثناء رحلته سنة 1845 بقوله: "بأنه صراع لا تنفع معه توصيات من السلطات العثمانية في طرابلس"[2].

أما فيما يخص الصراع بين القبائل الليبية والسلطات العثمانية، فقد أثار الصراع بين طوسون باشا– حاكم برقة سنة 1838م– والقبائل الليبية في إقليم برقة، حول دفع الضرائب، المخاوف لدى السلطات العثمانية على حياة الرحالة الأجانب، وذلك عندما قامت معركة في الرابع من شهر سبتمبر 1838م بين العثمانيين والقبائل، كان نتيجتها مقتل خمسين رجلاً من القبائل، واختلال الأمن في طرق القوافل التي كان يسلكها الرحالة[3]، ومن جهة أخرى فإن بعض القبائل كانت تستهدف الرحالة للحصول على الأموال[4] التي كانوا يحملونها معهم.

ومن الجدير ذكره، أن هناك أحداثاً تاريخية أثرت تأثيراً غير مباشر على الرحالة في الأراضي الليبية، حينما انضموا إلى قوافل الحج القادمة من بلاد الحجاز، عند وصول الحملة الفرنسية إلى مصر، وقد أشار إلى ذلك الرحالة الألماني فريدريك هورنمان[5]، وعن تأثير الحملة، فقد كان على الرحالة أن يتخفى ويتنكر بالإسلام عندما قال: "إن السفر كمسيحي ربما كان غير عملي لمدة خمس سنوات أخرى على

---

(1) جيمس ريتشارد سون " 1806– 1851م ": هو الرحالة ريتشارد سون ولد في مدينة لنكولن شاير في سنة 1806 وتوفي في مدينة بجوروتو في السودان في 4 مارس سنة 1851 م وكان رجل دين مسيحي كانت له جهود في محاربة تجارة الرقيق ملم باللغة العربية، حاول القيام برحلة إلى السودان في سنة 1845 – 1846 م لمحاربة الرقيق ولكنه توقف في غدامس في ليبيا لخطورة الطريق، أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح الإسلامي، حتى سنة 1911 م، ترجمة خليفة التليسي، طر ابلس، الدار العربية للكتاب، 1999 م، الطبعة الثانية ، ص469.

(2) جيمس ريتشارد سون، المصدر السابق، ص120.

(3) فرانشيسكو روفيري، عرض للوقائع التاريخية البرقاوية الكرونولوجي لبرقة (1551–1911)، ترجمة: إبراهيم أحمد المهدوي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، والمعهد الإيطالي لأفريقيا والشرق، 2003 م، ص93.

(4) في بعض الأحيان تكون خطورة القبائل ناتج عن الطمع في الأموال التي يحملها الرحالة معهم أو الحيوانات من جمال وبغال، وهذا ما ذكره الرحالة الفرنسي ليون برفينكيير بشأن مقتل الرحالة الفرنسي موريس بقوله: "لقد اتفق العدوان الدودان من قبائل الطوارق والشعابنة للقيام بجريمتهم، لقد شعر هؤلاء الناس بأن فريستهم ستفلت من بين أيديهم" مشاع بأن موريس يملك في خزائنه ثلاثة عشر مليوناً " وخليفة مازال يذكر المسامير الذهبية التي كانت تزين الحقائب. ليون برفينكيير، طرابلس الممنوعة في سنة 1912 م، ترجمة: جمعة عطية المحفوظي، بنغازي، جامعة قار يونس، 2008، ص61.

(5) فريدريك هورنمان "1772– 1801م ": هو الرحالة الألماني فريدريك كونراد هورنمان الذي ولد في مدينة هالدشايم في سنة 1772م وتوفي في سنة 1801 درس في جامعة جوتنجن بألمانيا للعلوم الطبيعية والفلكية، اتقن اللغة العربية اثناء تواجده في القاهرة 1797– 1798م، كذلك درس مظاهر الحضارة العربية الإسلامية وتاريخ فزان قام برحلة من القاهرة إلى مرزق وهو متنكراً في زي تاجر تركي، كتب رحلته رحلتان عبر ليبيا، المصدر السابق، ص16؛ جيمس ويللارد، المرجع السابق، ص199.

الأقل؛ فلا يمكن أن نتصور مدى ما تركته الحملة من أثر سيء في قلوب الحجاج، وسيحمل كل منهم بالطبع شعور العداء، ويُنقل معه ليشمل القارة بأسرها..."[1].

ومن خلال ما سبق، يتضح ما أدت إليه الصراعات بين الدول الأوروبية، من تأثير على تحركات الرحالة الأجانب بمختلف جنسياتهم وأهدافهم، وكذلك النزاعات القبلية بين القبائل الليبية، وكذلك الضعف السياسي والعسكري الذي أصاب السلطات القرمانلية والعثمانية، كل ذلك كشف أهداف هؤلاء الرحالة الاستعمارية خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

ثانياً) عدم توفير الأمن في الطرق والمناطق الليبية:

لم تقتصر الصعوبات على الصراع بين الدول الأوروبية، بل كات هناك معضلة واجهها الرحالة، وهي عدم توفر الأمن والسلام على الطرق بين المناطق الليبية، ولم ينته هذا الخطر طوال الفترة التي شهدت نشاط هؤلاء الرحالة، وذلك نتيجة لعدم وجود القدرة الكافية للسلطات القرمانلية والعثمانية على حفظ الأمن– على هذه الطرق– من خطر القبائل، خاصة في المناطق الصحراوية الجنوبية.

وعند تتبع هذا الخطر، نجد العديد من الإشارات التي أدلى بها الرحالة حول عدم توفر الأمن والسلامة على الطرق والمسالك التي سلكوها في الأراضي الليبية، فقد كان الخطر المحدق بهم يبدأ من وصولهم إلى الأراضي الليبية قادمين من مصر[2]، يحدث ذلك عند خروجهم من المدن المصرية الكبرى، كالقاهرة والإسكندرية.

فقد قال الرحالة الألماني فريدريك هورنمان في رحلته عبر الأراضي الليبية من القاهرة إلى مرزق– سنة 1798م، عن هذا الخطر من خروجه من القاهرة–: "لقد كان من الأمور غير المعتادة أن تصل إلى واحة سيوه دون أن تتعرض لهجوم ...؛ فالعرب– يقصد البدو– جسورون جداً ...، كما أن لديهم الجرأة على السلب والنهب[3] "، وفي موضع آخر أشار إلى أماكن الخطر على الطرقات، والقبائل التي

---

(1) يوميات الرحالة فريدريك هورنمان، الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان عام 1797 م، تعريب مصطفى محمد جودة، طرابلس، دار الفرجاني، 1993 م، ص18.

(2) الرحلات المنطلقة من مصر كثيرة نحو الأراضي الليبية منها ما وصل ومنها ما لم يصل، فمن الرحلات التي لم تصل، رحلة الرحالة الأمريكي جون ليديارد (Johan Led Yaed)، الذي كان يهدف من رحلته الوصول إلى ساحل المحيط الأطلسي، على أن تبدأ الرحلة من القاهرة إلى طرابلس ثم إلى أواسط أفريقيا، لكنه توفي في القاهرة قبل أن تبدأ رحلته، بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، نقله إلى العربية الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1988، ص346.

(3) س . هوارد، المرجع السابق، ص ص 152 – 153.

تزاول أعمال النهب والسلب على الحدود المصرية، بقوله: "... وبينما كنا في سيوه علمنا بتحركات جماعات من بدو بني غازي، ومن قبائل بدوية أخرى ..."(1).

واستمرت أعمال السلب والنهب في بداية القرن التاسع عشر الميلادي في إقليم برقة، حيث أشار إلى ذلك الرحالة الإيطالي باولو ديلا شيلا Paolo Della Cella(2)- في رحلته سنة 1818م، وأضاف إلى خطورة القبائل القاطنة خارج مدينة بنغازي- بقوله: "تسكن في ضواحي المدينة بعض القبائل البدوية الشرسة، إذ إنهم يسلبون من يقع بين أيديهم من المسافرين"(3)، وأضاف بأن منطقة إقليم سرت كانت غير آمنة الطرق، بقوله: "يكاد اختراق المنطقة الصحراوية المطلة على خليج سرت من الأمور المستحيلة على النفر من المسافرين؛ لعدم توفر الأمن من جهة، واحتمال التعرض للهلاك بسبب الجوع والعطش في حالة النجاة من شرور البدو الذين يسكنون في هذه المناطق"(4). وذلك نظراً لما شهده هذا الإقليم من اضطرابات وانتفاضات ضد حكم يوسف باشا القرمانلي، نتيجة لعدة عوامل أهمها فرض الضرائب المجحفة على القبائل.

ونتيجة للخطر الذي كان قائماً من القبائل في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، فقد توقفت حركة الكشوف الجغرافية عبر الأراضي الليبية، بسبب خطورة قبيلة الطوارق(5)، لمدة عشرين عاماً بعد مقتل الرحالة الإنجليزي لاينج سنة 1825م، على أيدي أفراد منها(6)، وفي منتصف القرن نفسه أكد الرحالة

---

(1) نفسه.

(2) ياولو ديلاشيلا " 1792 – 1854 م ": ولد في بلدة كاباني من مقاطعة سان استيفانو ادافيتو في 13 يونيو عام 1792 م، وتوفي في جنوه في 22 مايو عام 1854 م، درس الطب والتاريخ الطبيعي، قام برحلة إلى إقليم فزان " 1817 – 1818 م " أصدر هذه الرحلة في كتاب تحت عنوان " من طرابلس البربرية إلى الحدود الغربية لمصر " أتيليو موري، المرجع السابق، 15 ؛ جيمس هاملتون، جولات في شمال أفريقيا، تعريف: المبروك محمد الصويعي، طرابلس، دار الفرجاني للنشر و التوزيع، ص21 ؛ الأخوان بيتشي والساحل الليبي " 1821 – 1822م " ترجمة الهادي أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1996 م، ص16.

(3) باولو ديلا شيلا، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة، 1817، بنغازي، جامعة قار يونس، (ب، ث)، ص16.

(4) نفسه.

(5) الطوارق: هي قبيلة ليبية نزحت من الشمال إلى الجنوب خلال القرن الرابع الميلادي، وانتشرت في المنطقة الممتدة بين غدامس وتميكتو، الطوارق من سلالة قبيلة صنهاجة مادغيس ما عدا الهقار، وهم إخوة لهم ولكنهم ينحدرون من قبيلة هوارة القديمة وينحدر من لمتونة صنهاجة، وينقسم الطوارق عموماً إلى فئتين جنوبية وشمالية ويسمون طوارق الجنوب كيلوي واوليمين، وينتشرون في المناطق التي بين آزين وإقليم النيجر في أفريقيا الوسطى ويسمون طوارق الشمال هقار الذين ينتشرون في جبال الهقار جنوبي غربي غات، أما الأزقر فهم يقطنون في غات وضواحيها والبركت وجانيت، محمد عبد الرزاق مناع، الأنساب العربية في ليبيا.

(6) موت لاينج وضياع مذكراته أدى إلى أزمة سياسية في العلاقات الفرنسية الإنجليزية بسبب اتهام إنجلترا للفرنسيين الذين كانوا في تشاد والنيجر ومالي والجزائر بقتل الرحالة، كذلك مطالبة يوسف باشا بالتحقيق في ظروف مقتل لاينج والحصول على مذكراته

جيمس ريتشارد سون في رحلته سنة 1845م تعرضه لخطر الموت من قبل أحد أفراد هذه القبيلة، في مدينة غات، بقوله: "فوقف منتصباً أمامي، وبيده اليمنى رمح طويل، وظل يتفرسني في وجهي..."[(1)]، ويعلل جيمس خطورة هذه القبائل على الرحالة والقوافل بصفة عامة، بقوله: "عدم خضوع الرؤساء من ذوي الرتب الدنيا لتعليمات وأوامر رؤسائهم"[(2)]، وهو دليل على أن كل الاتفاقيات مع القبائل والرحالة لتوفير الأمن لهم كانت غير مجدية.

وقد كانت نتيجة هذه الأعمال والاعتداءات للقبائل أن بعض الرحالة تخلوا عن الاستمرار في رحلاتهم, وآخرين لقوا حتفهم، فقد اضطر الرحالة الإنجليزي ريتشارد سون– على سبيل المثال– إلى التخلي عن متابعة رحلته إلى السودان، في سنة 1846م، بسبب نصيحة بعض زعماء مدينة غات بخطورة قبائل الطوارق، وعدم التزامهم بأي مواثيق أو عهود,[(3)] كذلك تعرُّض بعض القبائل الليبية– القاطنة على الحدود المصرية الليبية– للرحالة الألماني هينرش بارت Heinrich Barth، وقتله، والاستيلاء على أمتعته، وكان ذلك في سنة 1850م[(4)]. ومن ذلك نلاحظ أن الرحالة الألمان كانوا أقدم وأشجع في مواصلة رحلاتهم من الرحالة الإنجليز, وأنهم عملوا بكل نشاط وتفانٍ مع الدول الأوروبية، والجمعيات الكشفية التابعة لها.

وإلى جانب ما شكلته قبائل الطوارق[(5)] من خطر على الرحالة من مختلف الجنسيات, والقبائل الليبية في إقليم برقة، أشار الرحالة الألماني جوستاف ناختيجال[(6)] Gustav Nachtigal، سنة

شارل فيرو، المصدر السابق، ص578 وما بعدها.حول ذلك انظر محمد الهادي أبو عجيلة، التنافس الإنجليزي الفرنسي حول ليبيا في عهد يوسف باشا القرمانلي، مجلة البحوث التاريخية، السنة الخامسة عشر، العدد الأول، يناير 1993 م، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص172-171.

(1) جيمس رتشاردسون ، المصدر السابق ص ص 126 – 313 .

(2) نفسه.

(3) أتيلو موري, المرجع السابق. ص 24 .

(4) فرانشيسكو روفيري, المصدر السابق. ص 103 .

(5) كدليل على خطورة قبيلة الطوارق على الرحالة الأجانب من مختلف الجنسيات هو قتلهم للرحالة الهولندية الآنسة تينة على يدأفراد من هذه القبيلة قريباً من مدينة غات سنة 1869 م ، أتوري روسي، المرجع السابق ، ص 469.

(6) جوستاف ناختيجال " 1834 – 1885م ": هو الرحالة الألماني الدكتور ناختيجال ولد في قرية أيخستد بإقليم سكسونيا في 23 فبراير 1834 م لأسرة متواضعة وتوفي في 19 إبريل 1885 م، درس الطب العسكري كان ملماً في اللغة العربية تولى منصب القنصل في تونس ثم في أفريقيا الغربية، قام بعدة رحلات في بلاد السودان وأواسط أفريقيا وأهمها رحلته من طرابلس إلى فزان إلى دار فور ثم القاهرة، 1869– 1874م، شوقي الجمل، تاريخ كشف أفريقيا، القاهرة، مكتبة أنجلو المصرية، 1971م، ص410،

John . Wight, Travllers in Libya, Slphium Press , 2005 , p180.

1869م، إلى أن الرحلة إلى السودان– عبر الأراضي الليبية– تواجه مصاعب وأخطار النهب والسلب من قبائل التبو، الذين وصفهم بالغدر والخيانة.[1] وهذا ما يؤكد عدم سيطرة السلطات القرمانلية، ومن بعدها العثمانية، على العديد من الطرق والمناطق الليبية، خاصة الجنوبية، وحتى إن وجدت الحماية فإنها ضعيفة.

ومن جهة أخرى توضح وثيقة نشرها بشير قاسم يوشع أن الطوارق قاموا بقتل ثلاثة مبشرين فرنسيين, والوثيقة تذكر أن القتلة هم من قبيلة أفوغاس، إحدى قبائل الطوارق, وكان ذلك في سنة 1874م، وذلك في مكان يقع في جنوب غدامس، بمسافة 350 كيلو متر[2].

وفي هذا الصدد يعترف الرحالة الألماني جيرالد رولفس بعدم توفر الأمن على الطريق من الكفرة إلى وداي– بسبب ما تشكله قبائل إقليم برقة من خطر، وذلك في سنة 1878م– في رسالة إلى زوجته في ألمانيا بقوله: "... ولو أعطيت الآلاف لما كرهت الأيام التي عشتها في الكفرة، على أنني كنت سعيدا بما عانيته..."[3].

الرحالة العرب كان لهم رأيهم في هذا الخطر على الطرق, وذلك بما ذكره الرحالة الحشائشي[4] بأن هناك خطرًا كبيرًا وغير قابل للسيطرة، وهو خطر قبائل الطوارق الذين يرتكبون أعمال النهب والقتل تجاه الرحالة, خاصة الفرنسيين[5], ونلاحظ كذلك أن الحشائشي أشار في موضع آخر من رحلته إلى أن هؤلاء الطوارق كانوا يعاملون الرحالة معاملة حسنة إذا أثبت لهم أنه يشتغل بالتجارة، وليس بالتجسس, ويعلل الرحالة الحشائشي خطورة هذه القبائل، وخاصة الطوارق في مناطق غات، هو عدم

---

(1) جوستاف ناختيجال, الصحراء وبلاد السودان, ترجمة: عبد القادر المحيشي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2007 م، ص ص 218- 219 .

(2) وثائق غدامس وثائق تجارية اجتماعية رقم (2) 949 هـ- 1542 م / 1343 هـ- 1924 م, جمع وتحقيق بشير قاسم يوشع, طرابلس: منشورات مركز الدراسات التاريخية, 1995 م. وثيقة (75), ص 187 .

(3) جيرالد رولفس, رحلة عبر أفريقيا, ترجمة عماد الدين غانم، سبها، مركز الدراسات الأفريقية ، 1988م.

(4) محمد بن عثمان الحشائشي " 1855 – 1912 م ": هو الرحالة التونسي الأصل محمد بن عثمان ا لحشائشي التونسي ويضاف إلى لقبه "كلمة الشريف " ولد في تونس 12 يونيو 1855 م، وتوفي في تونس 2 ذي حجة (1330 هـ / 1912 م)، درس في جامع الزيتونة التفسير واللغة العربية، ألف ما يقارب أربعة عشر كتاباً، ومنها مجلة السعادة العظمى،أما كتبه فهي جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، الثاني هو الرحلة الصحراوية وبلاد الطوارق وهما رحلتان عبر الأراضي الليبية. عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، القاهرة، دار الفكر، 1984 م، ص678. زكي مجاهد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، الجزء الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994 م، ط2، ص ص944 – 945.

(5) استمر خطر قبائل الطوارق على الرحالة الفرنسيين في سنة 1881 م فقد قضى الطوارق على بعثة الكولونيل فلاترز (Flaters) قتل رجالها التسعين. مصطفى عبد الله بعيو, المختار في مراجع تاريخ ليبيا, الجزء الثالث,بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1972م، ص79.

وجود الحماية والحراسة الكافية لقوافل التجار والرحالة الذين يغادرون إلى مدينة غات[1]، أو يمرون قريباً منها، حيث يقدر عدد أفراد الحامية العثمانية فيها من 35 إلى 40 جندياً[2]. وقد أورد الحشائشي أن عداوة الطوارق للرحالة الفرنسيين أكثر من غيرهم، نتيجة لخوف الطوارق على مدينتهم- غات- المجاورة للجزائر وتونس اللتين كانتا تحت الاحتلال الفرنسي سنة 1830م، وهذا يبين مدى ما وصلت إليه السلطة العثمانية من ضعف في المناطق الليبية الداخلية، في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

وتتطابق المعلومات التي ذكرها الرحالة الأوروبيون مع ما ذكره الرحالة عبد القادر جامي[3]، حول خطر قبائل الطوارق على الطرق التي تربط المناطق الصحراوية، التي يسلكها الرحالة والمسافرون، وأنهم مصدر أعمال النهب والسلب منذ أقدم العصور, ولكنه قال: "... نعم إن الطوارق بما فيهم من مساوئ فإرضاؤهم ممكن، ومقاومتهم سهلة..", وحكم هذا الرحالة عليهم يمكن أن يرجع ذلك إلى المعاملة الحسنة التي وجدها من هذه القبائل، بصفته نائبًا عن إقليم فزان في مجلس المبعوثين العثماني, ولكنه في موضع آخر من رحلته يقر بأن الطوارق يمارسون السلب والنهب، وأن الغزو هوايتهم، وأنه جزء من حياتهم الاجتماعية أيضاً[4].

ولم يختلف رأي هؤلاء الرحالة الأجانب- في بداية القرن العشرين- عن زملائهم في القرن التاسع عشر, فهذا الرحالة هانس فيشر Hanns Vischer[5] في سنة 1910م, ذكر أنه عندما كان في مدينة

---

(1) غات: تقع غات في الجنوب الغربي من ليبيا فهي تقع إلى الجنوب الغربي من غدامس وسبها ومرزق، وتبعد عن الأولى 582كم وعن الثانية بمسافة 600كم وعن الثالثة بمسافة 585كم، وتبعد عن حدود الجزائر بمسافة 80كم، وهي تقع على درجة عرض 37ْ ، 34 شمالاً وخط طول 27 ، 7 شرقاً. نجمي رجب ضياف، مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1999 م، ص51.

(2) محمد بن عثمان الحشائشي, الرحلة الصحراوية عبر طرابلس وبلاد الطوارق، علق عليها محمد المرزوقي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1988 م، ص128.

(3) عبد القادر جامي " 1878 – 1949 م ": هو الرحالة العثماني عبد القادر محمد منير باشا جامي، ولد في استانبول 1878 م، توفي في شهر نوفمبر 1949 م اتقن اللغات العربية والفرنسية والألمانية والإنجليزية، عين قائمقام وقائداً لمنطقة غات، ونائب عن متصرف فزان في مجلس المبعوثان حتى سنة 1908 م، أما في يخص كتابه من طرابلس إلى الصحراء الكبرى فهو يخص رحلته إلى فزان. عماد الدين غانم، تقارير غوتلوب أدولف كراوزه، الصحيفة حول الغزو الإيطالي لليبيا. المرجع السابق، ص17.

(4) عبد القدر جامي, من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة: مصطفى الأسطى، طرابلس، دار المصراتي للطباعة والنشر، 1974، ص ص 161- 192 .

(5) هانس فيشر: هو الرحالة السويسري هانس فيشر، كان يحمل الجنسية الإنجليزية، عاش وتعلم في إنجلترا، قام برحلته في الأراضي الليبية سنة 1906 م، عمل موظف في الإدارة المدنية الاستعمارية الإنجليزية في شمال نيجيريا، أعطى معلومات قيمة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ليبيا في سنة 1906 م. أتيليو موري، المرجع السابق، ص ص78-79؛ مصطفى عبد الله بعيو، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، الجزء الثاني، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1976 م، ص ص204-205.

طرابلس تلقى تحذيرًا، فقال: " تلقيت تحذيراً بأن ترتيبات قام بها طوارق ولصوص تباويين للهجوم على قافلتي"[1].

وخطر هذه القبائل على الطرق والمسالك البرية عند الحدود الليبية المصرية، استمر حتى في فترة الاستعمار الإيطالي "1911– 1939م", وقد أشار إلى ذلك الرحالة كنود هولمبو عند عبوره لشمال ليبيا سنة 1930م، بأن الطريق ما بين درنة وطبرق كانت غير مأمونة من خطر القبائل الليبية[2].

أما فيما يخص موقف الدولة العثمانية من حماية الرحالة، من اعتداءات القبائل في المناطق الصحراوية، فقد كان ضعيفاً, مما سبب لها الكثير من المشاكل الدبلوماسية مع الدول الأوروبية، وكذلك خسائر في المجال الاقتصادي، خاصة في تجارة القوافل الصحراوية[3].

وإلى جانب الخطر الذي تعرض له الرحالة على الطرق البرية، فإن بعضهم تعرض لخطر الموت والسلب على ظهر السفن القادمة إلى الموانئ الليبية، من موانئ أوروبا، خاصة ميناء مالطا, ومن ذلك ما تعرض له الرحالة الإنجليزي جيمس هاملتون James Hamilton[4] في سنة 1853م، حيث قال: "هناك خطر على ظهر السفينة من قبل المسافرين أو من المتسللين من الركاب"[5].

ثالثاً) عدم توفر وسائل النقل والاتصال والمعدات العلمية للرحالة :

كما اتضح سابقاً في عدم توفير الأمن والسلامة على الطرق والمسالك في كثير من الفترات أجبرت الرحالة على عدم السفر بمفردهم، أو في جماعة قليلة العدد والعدة.

هذه الصعوبة أدت بهم إلى عدم عثورهم أو حصولهم على وسائل نقل أو قوافل دائمة السفر إلى المناطق الداخلية الصحراوية الليبية، أو إلى مناطق أواسط أفريقيا, وأدى بهم في نهاية الأمر إلى انتظار

---

(1) هانس فيشر, عبر الصحراء الكبرى 1910 م، ترجمة الطيب الزبير، طرابلس، دار الفرجاني، (د – ث)، ص 28 .

(2) كنود هولمبو, رحلة في الصحراء الليبية راصدوا الصحراء, ترجمة محمد بشير الفرجاني, طرابلس, دار الفرجاني, 1969. ص282 .

(3) فرانشيسكو كورو, ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تعريب: خليفة محمد التليسي، دار الفرجاني، 1971 م، ص 170 .

(4) جيمس هاملتون: هو الرحالة الإسكتلندي الشهير جيمس هامتلون، كان مهتماً بالرحلات خاصة بمنطقة شمال أفريقيا، حيث كان يجيد اللغة العربية، كذلك دراسته المعمقة لتاريخ ليبيا القديم خاصة تاريخ الإغريق والرومان في إقليم برقة، كذلك قام برحلات إلى منطقة المشرق العربي خاصة سوريا، ألف كتاب بعنوان جولات في شمال أفريقيا 1853 م شارل فيرو، المصدر السابق، ص679؛ John Wright , Op . Cit . P 151

(5) جيمس هاملتون, المصدر السابق. ص 25 .

القوافل السنوية المتجه إلى المناطق المقصودة برحلة, كذلك صعوبة الحصول على وسائل النقل بأسعار مناسبة من جمال وبغال وخيول, وكذلك توفر الأمن فيها.

ولعدم وجود قوافل تتجه إلى وسط أفريقيا في فترات متقاربة, فعدد الرحلات قليل، فهي لا تزيد عن قافلة سنوية واحدة أو اثنين على الأكثر، فهذا الرحالة هورنمان انتظر عدة أشهر لقدوم قافلة بورنو السنوية للسفر معها إلى بورنو(1).

وكانت نتيجة انتظار الرحالة لمواعيد انطلاق القوافل للالتحاق بها، خاصة المتجهة إلى أواسط أفريقيا عبر الأراضي الليبية, أصابتهم بالملل والقلق. فهذا الدكتور شتيكر الحيوان المرافق للرحالة رولفس في رحلته إلى الكفرة 1879م أشار إلى أحواله بعد فشل الرحلة والعودة إلى بنغازي(2)، في رسالة إلى رولفس أنه يعاني من الملل والقلق في بنغازي، وأن صحته ليست على ما يرام، وأنه يرغب في العودة إلى برلين في أول فرصة(3).

وفي حالة التحق الرحالة بإحدى القوافل المتجهة إلى مرزق، أو إلى واحة الكفرة, تظهر مشكلة صعبة، وهي الحصول على وسيلة النقل واستئجارها، وعلى رأسها الجمال القوية, فمن المعروف أن المجتمع الليبي يعتمد في نشاطه الاقتصادي على الرعي والزراعة في تلك الفترة, فكثيراً ما تقع النزاعات القبلية المسلحة على الأرض والموارد المائية, وخاصة في فصل زراعة الشعير والقمح، مما يؤدي إلى صعوبة الحصول على وسائل النقل، سواء بالشراء أم بالاستئجار.

---

(1) رحلتان عبر ليبيا, المصدر السابق. ص 145 .

(2) بنغازي: تدل الدراسات الأثرية على أن مدينة بنغازي كانت قائمة قبل عام 600 ق.م أطلق عليها الإغريق اسم بيرنبيكي، ثم أطلق عليها المسلمون عام 642 م اسم برنيق، وتقع بالتحديد على البحر الأبيض المتوسط إلى الشرق من مدينة طر ابلس، بمسافة 1050 كيلو متراً، وذكرها عدد من الرحالة العرب منهم اليعقوبي في كتابه البلدان، أما الاسم الحالي لبنغازي فهو نسبة لرجل صالح يعرف بسيدي غازي 1450م، وقد مات ودفن بها، الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، طرابلس، مكتبة النور، 1968م، ص64؛ عبد السلام محمد شلوف، معجم المواقع والوقائع الليبية، بنغازي، دار الفضيل للنشر والتوزيع، ص125– 126.

(3) عماد الدين غانم, "مصير رحلة رولفس إلى الكفرة بعد فشل مهمتها أو يوميات انطوان شتيكر (1879- 1880م)", مجلة الوثائق والمحفوظات، العددان الحادي عشر والثاني عشر "1996– 1997م "، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ،ص 230 .

فهذا الرحالة سيمون لوكاس simon Luax[1] لم يبلغ في رحلته؛ لسوء الأحوال في مدينة مصراتة، ثم قفل راجعاً لرفض حاكم المنطقة تزويده بالجمال اللازمة لمواصلة الرحلة للحاجة الماسة إليها[2]؛ وذلك نتيجة للنزعات القبلية التي كانت تسود المنطقة المؤدية إلى إقليم فزان[3].

وإذا ما توفرت وسائل النقل والقافلة التي ينظمون إليها, فهناك صعوبة في الحصول على الجمال[4]، التي تتحمل السفر الطويل عبر الصحراء والطرق الصحراوية، خاصة طريق طرابلس– فزان. وهذا ما ذكره وأشار إليه الرحالة جوستاف ناختيجال[5] سنة 1869م بقوله: "إن الجمال التي تربى في الشريط الساحلي ليست لها سمعة جيدة، وإن قوتها الجسمية ونشاطها أقل من جمال المناطق الجنوبية، التي تتحمل الجو الصحراوي الصعب"[6].

عند حصول الرحالة أو أفراد القوافل على وسيلة نقل قوية, يتطلب حصول الرحالة على أدلاء لقيادة القوافل، ومعرفة مجاهل الصحراء من أبناء البلاد، خاصة عندما ينوي الرحالة السفر بواسطة قافلة خاصة به, وقد تعرض هؤلاء الرحالة إلى صعوبات في الحصول على أدلاء في هذه الحالة نظراً لموقف السكان من هذا العمل. وهذا ما أشار إليه الرحالة هانس بقوله: "الرجال الذين وعدوا باصطحابي

---

(1) سيمون لوكاس: هو المستكشف الإنجليزي سيمون لوكاس من مواليد لندن لأحد تجار الخمور، قام أبوه بإرساله وهو شاب إلى فاس ليتعلم التجارة، ولكنه وقع في أسر قراصنة مراكش وأمضى ثلاث سنوات كعبد في بلاد سلطان مراكش، ولكنه فيما بعد وصل إلى منصب نائب قنصل بريطانيا في بلاد مراكش بسبب إجادته اللغة العربية، وبقى في منصبه 16 سنة، مصطفى عبد الله بعيو، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، الجزء الثاني، ص128.

(2) John Wright .Op. Cit . P 55.

(3) يوفيل, المرجع السابق. ص 346 ؛ أتوري موري, المرجع السابق. ص 468 .

(4) وقد أشار إلى خطورة عدم تحمل وسيلة النقل الرحالة المصري صاحب الخبرة أحمد حسنين باشا, بأنه يجب أن يختار الجمل الذي يتحمل التعب والقدرة على نقل المعدات من ماء ومؤن لمسافات طويلة والطرق الوعرة خاصة الرملية. أحمد حسنين باشا, المصدر السابق، ص26.

(5) جوستاف ناختيجال "1834– 1885م": هو الرحالة الألماني الدكتور ناختيجال ولد في قرية أيخستد بإقليم سكسونيا في 23 فبراير 1834م لأسرة متواضعة وتوفي في 19 إبريل 1885م، درس الطب العسكري كان ملماً باللغة العربية تولى منصب القنصل في تونس ثم في أفريقيا الغربية، قام بعدة رحلات في بلاد السودان وأواسط أفريقيا وأهم رحلاته من طرابلس إلى فزان إلى دار فور ثم القاهرة، 1869– 1874م، ينظر:

John . Wight, Op . Cit , p180.؛ شوقي الجمل، المرجع السابق، ص410

(6) جوستاف ناختيجال, الصحراء وبلاد السودان, ص120.

أصبحوا متعرضون للإساءة والاستفزاز"[1]. ويرجع ذلك إلى نظرة الشك والريبة من قبل السكان لأهداف هؤلاء الرحالة الأجانب، خاصة بعد ظهور الأهداف الاستعمارية الحقيقية لهؤلاء الرحالة في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين في دول شمال أفريقيا.

كذلك فإن من مشاكل الرحالة مع الدليل هي المبالغة من قبل الدليل في ثمن خدماته. فقد أشار الرحالة جوستاف ناختيجال إلى ذلك بقوله: " إن ثمن الدليل كان مبالغا فيه، حيث بلغ 80 محبوباً, حوالي 300 مارك وهدايا وبنادق"[2].

أما فيما يخص الاتصال؛ فقد عرقلت مهمة الرحالة, حيث لم يستطيعوا الاتصال بسفاراتهم بمدينة طرابلس، والجمعيات الجغرافية ببلدانهم، التي تقوم بالإشراف على رحلاتهم عند وصولهم إلى أماكن بعيدة، خاصة في المناطق الصحراوية الليبية والأفريقية البعيدة. ففي رسالة من الرحالة الإنجليزي جوردون لاينج إلى هانمر من مدينة غدامس، في 13 سبتمبر 1825م، ورد فيها أنه يشكو من مبالغة مراسل البريد في مدينة غدامس في أجرته لنقل الرسائل إلى طرابلس، والتأخير في وصول الرسائل, مما أدى إلى تعطل رحلته[3].

إلى جانب الصعوبات السابقة, فقد ذكر الرحالة جيمس ريتشارد سون أنه لم يتحصل على ما يحتاجه من معدات، مثل: الأدوية، وبعض المعدات العلمية؛ مما أدى إلى عدم تحقيق العديد من النتائج العلمية، وكذلك المحافظة على حياته من الأمراض الخطيرة[4].

رابعًا) عدم توفير الإمكانيات المالية للرحالة:

عانى العديد من الرحالة قلّة الموارد المالية، أو عدم وصولها في مواعيدها إلى المناطق البعيدة التي وصلوا إليها؛ فهذا الرحالة الإنجليزي الكابتن ليون[5]، نتيجة النقص في المخصصات[1] المالية، أدى به ذلك

(1) هانس فيشر، المصدر السابق، ص26.

(2) جوستاف ناختيجال, الصحراء وبلاد السودان, ص 364 .

(3) رحلتان عبر ليبيا, المصدر السابق. ص 300 .

(4) جيمس ريتشار دسون, المصدر السابق. ص 382 .

(5) جورج ليون "1795– 1832م": هو الرحالة الإنجليزي جورج فرانسيس ليون الذي ولد في بريطانيا سنة 1795 م، توفي في بريطانيا في الثاني من فبراير عام 1832م، عمل في الفرقة الإنجليزية البحرية العاملة في البحر الأحمر المتوسط برتبة نقيب، ثم عمل مفوضا لشركة تعدين المعادن في المكسيك ثم انتقل إلى أمريكا، قام برحلة من طرابلس إلى فزان 1818– 1819 بصحبة الدكتور جوزيف ريتشي، أصدر تقريرا عن هذه الرحلة بعنوان "تقرير الرحلات في الشمال الأفريقي في السنوات" 1818– 1819م ". ع.ف. ليون، مدخل إلى الصحراء، ترجمة: الهادي أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1992، ص9.

الرحالة إلى اختصار رحلته إلى منطقة فزان, وقد وصل به الحال إلى عدم استطاعته توفير العلف لحصانه, ولذلك بذل قصارى جهده لإقامة علاقة طيبة مع سلطان فزان؛ لتغطية مصاريف رحلته(2). ومن جهة أخرى فإن توفر الأموال لدى الرحالة وسط مجتمعات فقيرة، كان مصدر خطر على الرحالة، فقد تعرض العديد من الرحالة إلى الموت؛ نتيجة لحملهم أموال معهم، كانت مطمعاً للقبائل والعصابات التي تنشط في طرق القوافل. فقد ذكر جيمس ريتشارد سون بأن اثنين من الرحالة الإنجليز تم اغتيالهم في الصحراء، وهما الرحالة لفنجستون والنقيب لاينج بسبب الطمع في الأموال التي كانت معهم(3).

وقد استمرت مشكلة نقص الأموال مع الرحالة الألمان في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي, فهذا الرحالة الألماني جوستاف ناختيجال في سنة 1869م، أشار إلى أنه عانى أثناء رحلته عبر الأراضي الليبية قاصداً مملكة بورنو من صعوبات مالية؛ لعدم وصول المخصصات المالية التي رصدتها له جمعية برلين الجغرافية والحكومة الألمانية؛ وذلك بسبب بعد المسافة بين طرابلس وبورنو، نتيجة لقلّة القوافل المتجهة إلى بورنو من طرابلس, كذلك فإن الأموال التي أرسلت إليه غير كافية لتقديم الهدايا لحكام البلاد التي يمر بها، وشراء وسائل النقل، والقيام بالأبحاث والدراسات العلمية(4).

وفي هذا الصدد أشار الرحالة كراوزه أن من عوامل نجاح عدة رحلات هو: توفر الأموال. ومنها رحلة هينريش بارث(5) سنة 1850 م بقوله: "لقد ذاعت شهرة بارث لعدة أسباب، أهمها: كفاءة أعضائها، والإمكانيات المالية، والدعم السياسي، ونشر تقاريرها بأكثر من لغة، أهمها الألمانية والإنجليزية"(1).

John . Wight, Op . Cit , p180.

(1) يعلل جيمس ويللارد نقص المخصصات لرحلة ليون سنة 1818 م إلى خلافات بين الحكومة الإنجليزية ووزارة المالية الإنجليزية حول دفع الهدايا إلى الباشا يوسف باشا القرمانلي وشيوخ القبائل. جيمس ويللارد, المرجع السابق. ص 204 .

(2)المرجع نفسه. ص 207 .

(3) جيمس ريتشار دسون, المصدر السابق. ص 341 .

(4) جوستاف ناختيجال, فزان وتيبستي, نقلها للعربية الطيب الزبير المنصور، طرابلس، دار الفرجاني، 1996م، ص 8– 9.

(5) هينريش بارث "1821– 1965م": هو الرحالة الألماني المستشرق الدكتور هينريش بارث الذي ولد في مدينة همبورج في 19 مايو سنة 1821 م وتوفي بارث في برلين يوم 25 نوفمبر 1954 م، وقد أقام في لندن حتى سنة 1845 م، درس التاريخ القديم واللغة العربية والعديد من اللغات الأفريقية مثل الهوسا، قام بعدة رحلات في الأناضول وأوروبا الشرقية، ثم قام برحلة مع الرحالة الألماني أدولف أومزولينج والإنجليزي جيمس ريتشارد سون 1850 – 1855 م، وكانت من طرابلس إلى بلاد السودان. أتيليو موري، المرجع السابق، ص35؛ نجيب العقيقي، المستشرقون، الجزء الثاني، القاهرة، دار المعارف، 1980 م، ط4، ص373.

وعلى الرغم من النقص في الأموال وتأخيرها؛ فإن الكثير من الرحالة- وخاصة الألمان- يصرون على إكمال رحلاتهم، وتحقيق أهدافهم، وذلك بالتكيف مع ذلك. ومن هؤلاء الرحالة جوستاف ناختيجال، الذي أشار إلى ذلك بقوله: "... وصار لزاماً عليّ أن أعيش مقتصداً, مما ألصق بي سمعة خبيثة، وهي انعدام الكرم، وكان عليّ أن أضحي بوقت طويل غير معقول من أجل تحقيق مخططاتي"[2].

خامساً) تأثير التعصب الديني على نشاط الرحالة :-

من الصعوبات التي واجهت الرحالة الأجانب- بمختلف جنسياتهم- النظرة الدينية المتعصبة للسكان المسلمين، سواء في ليبيا أم في أواسط أفريقيا؛ مما أدى بهؤلاء الرحالة المسيحيين إلى التنكر والادعاء بالإسلام، واتخاذ أسماء محلية عربية, وعلى الرغم من التنكر بالإسلام والادعاء به, إلاّ أن بعض الرحالة لم يساعدهم في كثير من الأحيان على القيام بعدة مهام. ومن ذلك عندما حاول الرحالة الفرنسي ريشيه كاليه التحقيق وكشف سر مقتل الرحالة الإنجليزي جوردون لاينج، لم يستطع إلى ذلك سبيلا, فعندما وصل إلى تمبكتو- في أبريل سنة 1828م- لهذه المهمة، وهو متنكراً بصفة مسلم، فإنه لم يستطع؛ خشية أن يتهم بأنه رجل غير مسلم[3].

وفي هذا الصدد تذكر إحدى الوثائق بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس بأن الرحالة رولفس عندما أراد التوجه إلى مملكة وداي، لم يستطع الالتحاق بأي القوافل المتوجهة إلى وداي، ولم يقبل الأدلاء مرافقته؛ خوفاً من قتله، من قبل حاكم وادي، نتيجة التعصب الديني السائد في وداي، في تلك الفترة[4].

وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ذكر الرحالة جيمس هاملتون- أثناء رحلته إلى المنطقة الشرقية من ليبيا في سنة 1853م- أن الرحالة في هذه المنطقة يعانون من التعصب الديني، والعداء من قبل القبائل العربية، التي لم تهدأ نزعاتها العدوانية؛ نتيجة لقربها من مالطا، والخوف المعتاد من قوة إنجلترا[5].

(1) عماد الدين غانم, تقارير غوتلوب كراوزة الصحفية حول الغزو الإيطالي لليبيا, ص 21 .

(2) جوستاف ناختيجال, الصحراء وبلاد السودان, المصدر السابق. ص 61 .

(3) رحلتان عبر ليبيا, المصدر السابق. ص 372 .

(4) دار المحفوظات التاريخية- طرابلس, وثيقة رقم (850).

(5) جيمس هاملتون, المصدر السابق. ص ص 24- 25 .

ومن جهة أخرى فإن التعصب الديني وكراهية الآخر لأسباب دينية، لم يكن من جهة المسلمين فقط الذين يدافعون عن أوطانهم، بل إن التعصب الديني يتضح لدى الكتاب الأجانب، الذين كتبوا عن الرحلات الأوروبية. ومن ذلك ما ذكره جيمس ويلـلارد من أنه العدو الأكبر للرحالة، وبالتالي الكشوف الجغرافية، بقوله: "الإسلام الذي كان يعلن بأن المسيحيين هم أبناء الشيطان", وأضاف إلى ذلك بقوله– أيضاً–: "بأن القراصنة المغاربة الذين كانوا يبتزون الضرائب من كل سفينة تمخر عباب المتوسط"(1).

وفي هذا الصدد يعلل الكاتب الإيطالي أتيليو موري بأن الدوافع وراء مقتل الرحالة الألماني إدوارد فوجل Eduardo Vogel(2)– سنة 1853م من قبل سلطان وداي– ومقتل الرحالة الهولندية إلكسندرينا تينة(3) من قبل الطوارق(4)– سنة 1869م– كان بسبب التعصب الديني، والطمع في أموال الأخيرة كذلك(5).

سادساً) عدم وجود خبرة كافية للرحالة:

بعد الرحلات التي قام بها العديد من الرحالة الأجانب، في الفترة ما بين "1798– 1923م "ظهر بأنهم كانوا يفتقرون للخبرة الكافية بالمناطق الليبية، التي قاموا بالسفر إليها، والاطلاع ومعرفة العادات والتقاليد الاجتماعية بها، ولغة سكانها العرب المسلمين.

---

(1) جيمس ويللارد, المرجع السابق. ص 195 .

(2) الرحالة إدوارد فوجل " 1829 – 1856 م ": هو الرحالة الألماني إدوارد فوجل الذي ولد في كريفلد ببروسيام في يوم 7 مارس عام 1829 م، وقد اعدم إدوارد في شهر يناير 1865 بأمر من سلطان مملكة واداي في العاصمة وارد. درس فوجل العلوم الفلكية وعلم النبات، قام برحلة إلى السودان منطلقاً من طرابلس في سنة 1853 م، أهم مؤلفاته هي رحلته إلى السودان في خمسة مجلدات. جوستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودان، المصدر السابق، ص79؛ أتيليو موري، المرجع السابق، ص42، 43.

(3) إلكسندرينا تينة " 1834 – 1869 م ": هي الرحالة الهولندية إلكسندرينا بترونيلا فراسينا تينة، وهي من مواليد مدينة لاهاي في يوم 17 أكتوبر 1843 م قتلت في 1/8/ 1869 م على يد قبائل الطوارق في الصحراء الليبية، وكانت تتصف بالشجاعة والذكاء والجمال والكرم والثراء الواسع كما ذكر ذلك جيمس ويللارد. م.أ. ز. بيرك، ست سنوات في طرابلس على الساحل المغاربي 1827 – 1833 م، ترجمة إيمان فتحي، طرابلس، دار الفرجاني، 2010 م، ص93 ؛ جيمس ويلللارد، المرجع السابق، ص293؛ جوستاف ناختيجال، تيبستي وفزان، المصدر السابق، ص26.

(4) ولكن يعلل جوستاف ناختيجال مقتل هذه الرحالة الهولندية إلى النظرة الاجتماعية إلى سكان مرزق للمرأة التي تدخل في مغامرة ورحلة بين رجال غرباء عليها, وأنهم يفضلون بقاء المرأة في المنزل والانجاب وليس السفر والمغامرة. جوستاف ناختيجال, الصحراء وبلاد السودان, المصدر السابق. ص 221 .

(5) أتيليو موري, المرجع السابق. ص 113– 159 .

فعدم وجود الخبرة بهذه المناطق أدى ببعض الرحالة إلى المبالغة في عدم تقدير الصعوبات، ومنها الأمن والسلامة على الطرق، خاصة المناطق الصحراوية. ومن الرحالة الذين بالغوا في سهولة الطرق الصحراوية، ذلك الرحالة جوردون لاينج، الذي كتب إلى السلطات الإنجليزية في لندن رسالة قبل بداية رحلته إلى بورنو بقوله: "إن الطريق من بورنو كسهولة الطريق من لندن إلى أدنبرة", ثم كرر الرحالة جيمس ريتشارد سون نفس الخطأ في سنة 1845م بتقليله من صعوبات الرحلة إلى بوريو بقوله: "إن تلك الطريق آمنة كطريق لندن- باريس"[1].

ولم تكن هذه التقديرات المبالغ فيها عند الرحالة الإنجليز فقط، بل كانت عند الرحالة الألمان كذلك. ففي هذا الصدد بالغ الرحالة الألماني جيرالد رولفس- أثناء رحلته إلى وداي عبر واحة الكفرة، سنة 1879م- في سهولة الرحلة عبر الصحراء الكبرى، والاستهانة بالممالك الإسلامية في وسط أفريقيا بقوله: "ضعوا تحت إمرتي ثمانين عسكرياً وسأحتل بهم الأجزاء الشرقية من الصحراء، بما فيها سلطنة واداي..."، ولكن عندما جاءت ساعة الحقيقة، عندما هاجمت قافلته بعض القبائل الليبية بالقرب من واحة الكفرة، هرب إلى مدينة بنغازي، وترك كل ما معه من أمتعة وأوراق وأبحاث[2]. وفي هذا الصدد فإن بعض الرحالة يعترفون بقلّة الخبرة, فهذا الرحالة جوستاف ناختيجال- في رحلته 1869م نحو فزان وتيبستي- يعترف بأنه لم يكن يمتلك أي خبرة عن الرحلات الصحراوية، ولا إمكانيات علمية، وذلك بقوله: "... فأنا من ناحية لأملك أي خبرة كرحالة، ولم تكن لي دراية بالعلوم الطبيعية، هذا العجز قلل من قيمة أسفاري الماضية التي قمت بها..."[3]. وفي هذا دليل أن الجهات التي قامت بالإشراف والإعداد لهذه الرحلات، لم تهتم بالنواحي العلمية, وأن الأهداف الحقيقية كانت سياسية استعمارية لمعظم الرحلات.

ويعلل جيمس ويللارد عدم الخبرة الكافية, بعدم وجود تجارب كثيرة سابقة للرحالة الأجانب، الذين جاؤوا إلى شمال القارة الأفريقية قبل سنة 1798م، وخير مثال على ذلك الصعوبات التي واجهت الرحالة فريد ريك هورنمان، الذي كان عليه أن يختار الصحراء من الشرق إلى الغرب (القاهرة- فزان) دون معلومات جغرافية سابقة عن مسالك ودروب الصحراء المصرية والليبية[4].

(1) رحلتان عبر ليبيا, المصدر السابق. ص 208 .
(2) جيرالدرولفس, رحلة عبر أفريقيا, المصدر السابق. ص 72 .
(3) جوستاف ناختيجال, فزان وتيبستي, المصدر السابق. ص 14 .
(4) جيمس ويللارد, المرجع السابق. ص 197 .

وعلى مستوى عدم وجود الخبرة بالظروف الطبيعية والمناخية القاسية في الصحراء الليبية، تم اختيار رحالة لا يملكون البنية الجسمية القوية لمقاومة قسوة الصحراء وتقلبات المناخ, وإنما اختاروا رحالة لهم الرغبة في حب المغامرة والتفاني في تنفيذ أهداف استعمارية. فقد سافر الرحالة لاينج سنة 1797–1798م نحو فزان، وهو لا يتمتع بصحة جيدة؛ مما عرضه لمتاعب صحية أثناء السفر في الصحراء الليبية[1].

إن الرحالة الأجانب من جهة أخرى، كانت معلوماتهم عن الأمراض المنتشرة في هذه المناطق قليلة، فلم يستطع هؤلاء حماية أنفسهم من الحشرات الضارة والسامة, نتيجة لعدم وجود الأدوية المضادة والمعلومات الطبية الكافية للمحافظة على الصحة[2]، وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك رحالة أطباء ضمن هؤلاء، خاصة الرحالة الألمان.

إلى جانب هذه الصعوبات ظهر عدم معرفة هؤلاء الرحالة بلغة السكان، للتعارف والتخاطب مع السكان الليبيين, وذلك بعدم إجادة عدد منهم اللغة العربية, وفي ذلك ذكر ليون قوله: "وكانت معرفتي المحدودة باللغة العربية مصدر ندم وأسف مستمرين, وأعتقد أن رحلتي ستجعلني أنكب على تحسين مستواي اللغوي"[3].

ولم يقتصر عدم الخبرة على ذلك، فإن الرحالة الأجانب لم يكونوا على دراية بالأسعار في الأسواق الليبية، مما أدى إلى تعرضهم لاستغلال التجار المحليين. فقد أشار الرحالة جوستاف ناختيجال أن أسعار عدة مواد بيعت له بأسعار مبالغ فيها؛ لعدم خبرته بالأسعار، واحتكار بعض تجار مرزق لها[4]. وتحدث الرحالة رولفس– هو الآخر– عن غلاء الأسعار في أسواق طرابلس، في طريقه من طرابلس إلى فزان سنة 1865م. عندما قال: "إنه من الصعوبة شراء معدات ولوازم السفر، حيث يرفع الباعة في السوق الأسعار عند قيام الرحالة بشراء هذه البضائع، مستغلين عدم معرفة الأسعار"[5].

---

(1) رحلتان عبر ليبيا, المصدر السابق. ص 247 .

(2) جيمس ويللارد, المرجع السابق. ص 223 .

(3) ع. ف. ليون, المصدر السابق. ص 120 .

(4) جوستاف ناختيجال, الصحراء وبلاد السودان, المصدر السابق. ص 365 .

(5) جيرالدرولفس, رحلة عبر أفريقيا, المصدر السابق، ص 133 .

ومـن الصـعوبات الـتي واجهـت الرحالـة وأصـابتهم بالإحبـاط، عـدم احـترام الجمعيـات الجغرافيـة، والمؤسسات الأوروبية، رغبات الرحالة في البحث العلمي, نظراً لاحتكارها تنظيم الرحلات، من حيث المخصصات المالية، والحماية، وأهداف الرحلات.

ففي هذا الصدد رفضت الجمعية الجغرافية الألمانية في سنة 1878م دعم الرحالة غوتلوب أدولف كـراوزة في الموافقـة علـى رغبتـه في القيـام برحلـة إلى بـلاد سـوكوتو، لرغبتـه في دراسـة اللغـة الفولانيـة والهاوسا[1] ولهجاتها، وتاريخ شعوب هذه المنطقة من أفريقيا[2]. ويمكن أن يرجع ذلك إلى دخول ألمانيا في السباق الاستعماري، وحاجتها إلى المعلومات الجغرافية، التي تخدم أهدافها الاستعمارية في أفريقيا.

هذه هي لمحة عن الصعوبات التي واجهت الرحالة عند القيام برحلاتهم إلى الأراضي الليبية، أو عبورهم إلى أواسط أفريقيا, والتي تخصهم، أو التي كانت عبارة عن موقف السكان الليبيين الرافضين لأي أجنبي على أراضيهم؛ لخلفيات تبشيرية، أو تاريخية سابقة، أو أطماع مادية شخصية أو استعمارية.

نستنتج مـن هـذا العـرض المتواضـع لهـذه الصـعوبات، أنهـا كانـت ذات تـأثير مباشـر في إنجـاز هـذه الرحلات، وبالتالي حددت مسار عدة رحلات، وأفشلت كذلك بعضًا منها.

حددت هذه الصعوبات نفوذ العديد من الدول الأوروبية الاستعمارية، في القرن التاسع عشر الميلادي في ليبيا وبقية شمال أفريقيا، حيث لم تستطع العديد من دول هؤلاء الرحالة التغلب عليها، بسبب الخلافات السياسية مع السلطات الحاكمة في ليبيا في تلك الفترة.

- أوضحت دراسة هذه الصعوبات مدى ما كانت عليه حدة الصراع بين الدول الأوروبية للسيطرة على الأراضي الليبية، والبلاد الأفريقية، ما وراء الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر الميلادي.

(1) اللغة الفولانية ويتكلم بها الفلاتيون سكان دولة الكاميرون وبعض أجزاء من نيجيريا, رغم أن الشعب الفلاني ينتشر في العديد من دول وسط أفريقيا, أما لغة الهاوسا فتعود إلى المجموعة الحامية السامية وتنتشر بشكل خاص في القسم الشمالي من نيجيريا ويتكلمها أكثر من أربعين مليون نسمة في هذه الدولة ولعل هذه اللغة أغنى اللغات الحامية وإثراءها بالمفردات والتراكيب. عبد الله سويد, أفريقيا اللغة والتاريخ, طرابلس: منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام, 2006. ص 67- 72- 45.

(2) عماد الدين غانم, تقارير غوتلوب أدولف كراوزة, المرجع السابق. ص 31 .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة:

1- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس، الوثائق التجارية وثيقة رقم 850.

ثانياً: الوثائق المنشورة:

1- وثائق غدامس "وثائق تجارية– اجتماعية " رقم (2) للسنوات " 949هـ- 1542م/ 1343هـ- 1924 م"، جمع وتحقيق بشير قاسم يوشع، طرابلس، منشورات مركز الدراسات التاريخية، 1995 م، وثيقة رقم 75.

ثالثاً: المصادر العربية:

1- أحمد محمد حسنين باشا، رحلة في صحراء ليبيا 1923 م، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004 م.

2- محمد بن عثمان الحشائشي، الرحلة الصحراوية عبر طرابلس وبلاد الطوارق، علق عليها محمد المرزوقي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1988 م.

رابعاً: المصادر الأجنبية المترجمة:

1- الدواخل الليبية في مجموعة دراسات الرحالة الألماني غوتلوبأدولف كراوزه، ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998 م.

2- الأخوان بيتشي والساحل الليبي " 1821 – 1822 م "، ترجمة: الهادي أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1996 **م.**

3- باولو ديلا شيلا، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة 1817 م، بنغازي، جامعة قار يونس، " ب، ث ".

4- تقارير غوتلوب أدولف كراوزه الصحفية حول الغزو الإيطالي، ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1993 م.

5- جيمس ريتشارد سون، ترحال في الصحراء، ترجمة: الهادي مصطفى أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1993 م.

6- جيمس هاملتون، جولات في شمال أفريقيا، تعريب: المبروك محمد الصويعي، طرابلس، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، " ب . ث ".

7- جوستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودان، ترجمة: عبد القادر المحيشي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2007 م.

8- ـــــــــــ، فزان وتبستي، نقلها للعربية الطيب الزبير المنصور، طرابلس، دار الفرجاني، 1996.

9- جيرالد رولفس، رحلة عبر أفريقيا، ترجمة: عماد الدين غانم، سبها، مركز الدراسات الأفريقية، 1988م.

10- ـــــــــــ، رحلة إلى الكفرة، دراسة وترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2000 م.

11- ـــــــــــ، رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية، ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2002م.

12- رحلتان عبر ليبيا، رحلة فردريك هوريمان من القاهرة إلى مرزق، 1727-1748م، رحلة ورسائل الرائد الكسندر جوردون لينج، 1824– 1826م طرابلس، دار مكتبة الفرجاني، 1974م.

13- شارل فيرو، الحوليات الليبية، ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1993 م، الطبعة الثانية.

14- عبد القادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة: مصطفى الأسطى، طرابلس، دار المصراتي للطباعة والنشر، 1974 م.

15- ع. ف. ليون، مدخل إلى الصحراء، ترجمة: الهادي أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1992 م.

16- فرانشيسكو روفيري، عرض للوقائق البرقاوية الكرونولوجي لبرقة " 1551 – 1911 م "، ترجمة: إبراهيم أحمد المهدوي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية والمعهد الإيطالي لأفريقيا والشرق، 2003 م.

17- كنود هولمبو، رحلة في الصحراء الليبية راصدوا الصحراء، ترجمة: محمد بشير الفرجاني، طرابلس، دار الفرجاني، 1969 م.

18- ليون برفيبكيير، طرابلس الممنوعة في سنة 1912 م، ترجمة: جمعة المحفوظي، بنغازي، جامعة قار يونس، 2008 م.

19- هانس فيشر، عبر الصحراء الكبرى 1910م، ترجمة: الطيب الزبير، طرابلس، دار الفرجاني، "ب. ث ".

20- م . أ . ز . بيرك، ست سنوات في طرابلس على الساحل المغاربي "1827– 1833م"، ترجمة: إيمان فتحي، طرابلس، دار الفرجاني، 2010م.

21- يوميات الرحالة فريدريك هورنمان، الرحالة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان 1797 م، تعريب: مصطفى محمد جودة، طرابلس، دار الفرجاني، 1993 م.

خامساً: المراجع العربية:

1- شوقي الجمل، تاريخ كشف الجمل، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1971 م.

2- عصام محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، بيروت، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، " ب . ث ".

3- عبد الله سويد، أفريقيا اللغة والتاريخ، طرابلس، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والأعلام، 2006 م.

4- محمد سعيد القشاط، جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى "1891– 1986م"، بيروت، دار الملتقى للطباعة والنشر، 1998 م، الطبعة الثانية.

5- محمد مصطفى بازامه، تاريخ برقة في العهد العثماني الثاني، بيروت، دار الحوار الثقافي العربي الأوروبي، 1994 م.

6- مصطفى عبد الله بعيو، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، الجزء الثاني، بيروت، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1976 م.

7- محمد عبد الرزاق مناع، الأنساب العربية في ليبيا، بنغازي ، مطبعة التمور 2007.

8- ـــ، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، الجزء الثالث، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1972 م.

9- نجيب العقيقي، المستشرقون، الجزء الثاني، القاهرة، دار المعارف، 1980م.

10- نجمي رجب ضياف، مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، طرابلس، منشورات جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1999م.

سادساً: المراجع الأجنبية المترجمة:

1- أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى سنة 1911 م، ترجمة: خليفة التليسي، طرابلس، الدار العربية للكتاب، 1999 م، الطبعة الثانية.

2- أتيليو موري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا، تعريب: خليفة محمد التليسي، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1984 م.

3- بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، نقله إلى العربية: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1988 م.

4- جيمس ويللارد، الصحراء الكبرى، مكتبة الفرجاني، " ب . ث ".

5- رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم القرمانلي، القاهرة، معهد الدراسات العربية العليا، 1961 م.

6- س. هوارد، أشهر الرحلات إلى غرب أفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية للكتاب، 1969.

7- فرانشيسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تعريب: خليفة محمد التليسي، دار الفرجاني، 1971 م.

8- ماريو غرسو، التسلسل الزمني لأحداث المستعمرات الإيطالية، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1989 م.

9- ن . أ . بروشين، تاريخ ليبيا الحديث منتصف القرن السادس عشر حتى مطلق القرن العشرين، ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1991 م.

سابعاً: المراجع الأجنبية:

1- John Wright , Travllers in Libya , Siphium Press , 2005.

ثامناً: الرسائل العلمية:

1- السيد يوسف نصر، جهود مصر الكشفية في أفريقيا، في القرنالتاسع عشر، رسالة ماجستير في الأدب – تاريخ حديث، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1974 م.

تاسعاً: المجلات والندوات العلمية:

1- أحمد محمود هيبة، الظروف المتزامنة مع قدوم الرحالة جيمس ريتشارد، ضمن أعمال الندوة العلمية التاريخية حول غدامس، تقديم وتحرير: نور الدين مصطفى الثني، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التتاريخية، 2005 م.

2-عماد الدين غانم، وثائق ومخطوطات في أعمال رولفس وكراوزه، ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا واقعها وآفاق العمل حولها، الجزء الثاني، زليتن، 1988 م.

3-ــــــــــــــ، مصير رحلة رولفس إلى الكفرة بعد فشل مهمتها أو يوميات إنطوان شتيكر "1879– 1880م"، مجلة الوثائق والمحفوظات، العدوان الحادي عشر والثاني عشر "1996–1977م" طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

4-ــ، مؤلفات الأجانب ومكانتها بين مصادر تاريخ ليبيا في القرن التاسع عشر الميلادي في عام 1869 م، طرابلس، مجلة البحوث التاريخية، السنة التساع والعشرين، العدد 2007 م.

5-محمد الهادي أبو عجيلة، التنافس الإنجليزي الفرنسي حول ليبيا في عهد يوسف باشا القرمانلي، مجلة البحوث التاريخية، السنة الخامسة عشر، العدد الأول، يناير، 1993 م، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

عاشراً: المعاجم والقواميس والأعلام:

1- عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، القاهرة، دار الفكر، 1984 م.

2- زكي مجاهد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجري، الجزء الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994 م، الطبعة الثانية.